

منطقة البلطيق في الرؤية الاستراتيجية الروسية والغربية

أ.و. نولار محمد ربيع (الخيري)^(١)

المقدمة

تحتل منطقة البلطيق بأهمية استراتيجية وجيوبوليتيكية متميزة جعلتها بؤرة للأطماع والتنافس الإقليمي والدولي وبشكل مستمر ، فقد عاشت مراحل من عدم الاستقرار الذي ترافق معه وعي شعوب البلطيق بهويتها ومصيرها، فكانت الثورات والمقاومة للاحتلال وبداية ظهور وترسيخ القومية حتى جاء ترويس دول البلطيق ومن ثم تحويلها إلى جزء من الاتحاد السوفيتي ، فعانت من الحناق السوفيتي الذي أطبق على كل المجالات في دول البلطيق، حتى تمكنت من تحقيق استقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، والبدء بمرحلة جديدة من تاريخها، وجدت فيها المتنفس للاختبار .

بقيت منطقة البلطيق في أولويات سياسات القوى الدولية الكبرى ، فبينما هي - أي دول البلطيق- تسعى إلى بناء دولها بطريقة جديدة ومغايرة، بدأت في مواجهة مناسبات وأطماع جديدة من قبل القوى الدولية، بشكل جديد، وآليات جديدة بين الشرق الروسي والغرب الأطلسي الأوروبي- الأمريكي، بمحاولة كل طرف منها أن يمد تأثيره ونفوذه إلى هذه المنطقة، وعدها جزءاً وامتداداً لنجالاتها الحيوي والاستفادة من مزاياها وطرح آلياتها الجديدة والمختلفة في التعامل مع دول البلطيق، إذ دخلت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية من مدخل العضوية في حلف شمال الأطلسي الاتحاد الأوروبي والسير في الطريق الرأسمالي، وعلى العكس من ذلك دخلت روسيا الاتحادية من مدخل الترابط الثقافي والحضاري التاريخي المشترك بينها وبين دول البلطيق، فكيف

^(١) كلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية.

تعاملت دول البلطيق اتجاه كل من الطرفين، وكيف تعامل كل من الشرق الروسي والغرب الأطلسي في ضوء خطة كل منهما وآلياتهما ومساعدتهما لتحقيق أهدافهما. بناءً على ما تقدم يقوم البحث على فرضية تنطوي على أساس ان الأهمية الاستراتيجية لمنطقة البلطيق تجعل التنافس الدولي والإقليمي مستمراً ومتواصلاً للسيطرة على المنطقة بواسطة رؤيتين استراتيجيتين متناقضتين، رؤية شرقية تمثلها روسيا الاتحادية، ورؤية غربية تمثلها القوى الأطلسية، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، ودول الاتحاد الأوروبي، هذه الرؤى تعززها استراتيجية كل طرف إقليمي ودولي، وبما يحقق أهدافه ومصالحه التي تُثبت بها وجوده وتدافع عنه ضد الطرف الآخر، وفي ضوء ذلك، سيتم تناول الموضوع بواسطة البحث في جغرافية وتاريخ منطقة البلطيق، ومن ثم التعرف على دول البلطيق في مرحلة ما بعد الاستقلال ويليها البحث في الرؤية الروسية لمنطقة البلطيق، ويتبعها الرؤية الأطلسية لها، ثم التنافس بين الطرفين حول المنطقة، وكيف يدور ذلك التنافس ومخرجاته إلى جانب الخاتمة والاستنتاجات التي تم التوصل إليها. أولاً : جغرافية منطقة البلطيق :

تعود تسمية منطقة ودول البلطيق إلى بحر البلطيق الذي يقع في شمال أوروبا وتحيطه شبه الجزيرة الاسكندنافية وأوروبا الوسطى وأوروبا الشمالية وأوروبا الشرقية والجزر الدنماركية، ويتصل بخليج كاتيفغات عن طريق مضيق أوريسند، ويكمل كاتيفغات مساره إلى بحر سكاغيراك ، ومنه إلى بحر الشمال وصولاً إلى المحيط الأطلسي، كما ويتصل بحر البلطيق بالبحر الأبيض - وهو بحر داخلي في شمال الجزء الأوروبي من روسيا، وهو خليج في المحيط المتجمد الشمالي مساحته ٨٠ ألف كيلو متر مربع^(*) - عن طريق قناة كيل . وتجدر الإشارة إلى أن تسمية بحر البلطيق أطلقها (آدم البريميني) أحد النبلاء المشهورين

(*) البحر الأبيض، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الموقع الإلكتروني: <https://ar.m.wikipedia.org>

في العصور الوسطى في ألمانيا ، وذلك نسبة إلى (جزيرة بالتيا) التي تقع فيه التي سماها الرومان بهذا الاسم^(١).

وتقع على بحر البلطيق العديد من الموانئ، هي: [كوبنهاك، أودنس، (الدنمارك)]، [كييل، لوبيك، فيسمار، روسنوك، (ألمانيا)]، [سزكزن، غدنيا، غدانسك، (بولونيا)]، [ريغا، (استونيا)]، [لينينغراد، (روسيا)]، [هلسنكي، (فنلندا)]، [لويلا، غاول، ستوكهولم، مالمو، (السويد)]. كما يوجد عدد من الجزر فيه وهي تابعة للدول المجاورة أهمها: أaland، بورنهولم، فالستر، فيوني، غوتلاند، كيوما، لولاند، مون، اولاند، روغن، ساريمما، سجايلاند، أوزنام، وولن^(٢).

ويصل طول بحر البلطيق حوالي (١٦١٠) كيلو متر، وعرضه (١٩٣) كيلو متر، ومساحته حوالي (٣٧٧) ألف كيلو متر مربع، وحجم مياهه (٢١) ألف كيلو متر مكعب، ويزيد طول شواطئه على (٨٠٠٠) كيلو متر، أما عمق بحر البلطيق فهو قليل إذ يصل متوسط عمقه حوالي (٥٥) متر، ويعد أكثر مسطح مائي في العالم مياهه مسوسية (أي بين المالحة والعذبة)^(٣).

أما دول البلطيق، فهي الدول الواقعة في المنطقة الشمالية من أوروبا، وتضم كل من إستونيا وليتوانيا ولاتفيا، وتقع هذه الدول الثلاث على الشواطئ الشرقية لبحر البلطيق الذي يحدها من الجهة الغربية والجهة الشمالية، وتحدها كل من بولندا وجزء من روسيا من الجهة الجنوبية الغربية، ومن

(١) إيهاب شوقي، دول البلطيق وتصعيد صراع النفوذ بين معسكري الحرب الباردة ، الاثنين ١٥ ديسمبر

٢٠١٤ ، شبكة الأخبار العربية ، على الموقع الإلكتروني : www.annetv.tv

(٢) مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء الخامس، مؤسسة هانياد، بيروت- لبنان، ص ٢٦١.

(pdf) .

(٣) بحر البلطيق، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الموقع الإلكتروني: <http://a.r.m.wikipedia.org>.

الشرق تحدها روسيا^(٤)، إلى جانب دول البلطيق الثلاث هناك دول مطلة على بحر البلطيق وهي الدنمارك وفنلندا (التي كانت تحسب سابقاً بأنها الدولة الرابعة من دول البلطيق إلا أنه مع مرور الوقت استبعدت عنهم) وألمانيا وبولندا وروسيا والسويد ، ودول واقعة في حوض تصريف البحر ، لكنها لا تطل عليه، وهي روسيا البيضاء أو (بيلاروسيا) وجمهورية التشيك والنرويج وسلوفاكيا وأوكرانيا^(٥).

أما بالنسبة لجغرافية دول بحر البلطيق التي تعد دول صغيرة ، وهي إستونيا وليتوانيا ولاتفيا، فهي:

- إستونيا : وتقع في شمال غرب السهل الأوروبي الشرقي على الشاطئ الشرقي لبحر البلطيق ، وتحدها روسيا من الشرق وليتوانيا من الجنوب وفنلندا والسويد من الجهة المقابلة لبحر البلطيق ، وتضم عدداً من الجزر يزيد عن (١٥٢١) جزيرة ، كما يوجد فيها (١٥٢٥) بحيرة ، وأكثر من (٤٢٠) مجرى للماء ، ونظراً لشكل شاطئها المتعرج فقد تشكل عدداً كبيراً من الخلجان الكبيرة والصغيرة^(٦).

- لاتفيا : تقع على شاطئ البلطيق ، وتحدها إستونيا من الشمال وروسيا من الشمال والشرق وروسيا البيضاء من الشرق ، وليتوانيا من

(٤) محمد جوارنه ، دول البلطيق ، موضوع ، نوفمبر ٢٠١٧ ، على الموقع الالكتروني :

<https://mawdoo3.com> .

(٥) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٦) د. عماد هادي عبد علي ، التوسع السوفييتي في منطقة البلطيق ١٩٣٩ - ١٩٤١ ، مجلة آداب الكوفة، العدد (٨) ، المجلد (١) ، ٢٠١١ ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب، ص ص ٢٠٧ - ٢١١ ، موقع العراقية - المجلات الأكاديمية العلمية ، (p.d.f) .

الجنوب ، وبحر البلطيق من الغرب ، وتبلغ مساحة لاتفيا (٢٥) ألف كيلومتر مربع^(٧).

- ليتوانيا : تقع على بحر البلطيق وتحدها لاتفيا من الشمال وروسيا البيضاء (بيلاروسيا) من الشرق والجنوب وبولندا وكالينغراد من الجنوب وبحر البلطيق من الغرب^(٨).

ونتيجة لهذه المكانة الجغرافية الاستراتيجية المهمة لدول البلطيق فقد كانت موضع اهتمام الدول ، ولاسيما الدول الكبرى التي سعت إلى الاستفادة من الخصائص الجغرافية والجيوبوليتيكية في سياساتهم وتحقيق مصالحهم ، وعبر المراحل التاريخية المختلفة وإلى حد الآن ، إذ يجري ربط روسيا الاتحادية بالاتحاد الأوروبي عن طريق خط أنابيب لنقل الغاز الطبيعي تحت بحر البلطيق^(٩)، فيكون تصريف وبيع روسيا الاتحادية لموارد الطاقة ، وحصول دول الاتحاد الأوروبي على تلك الموارد ، بوسيلة أكثر سلاسة وفائدة ولكل الأطراف .

ثانياً : نظرة تاريخية على منطقة البلطيق :-

عاشت دول البلطيق مراحل طويلة (حوالي سبعة قرون) من الاضطرابات والتقلبات وعدم الاستقرار فيما كانت أوروبا تعيش مرحلة الحروب الصليبية باتجاه الشرق، وكانت المسيحية وتحديداً الكاثوليكية في البداية تدخل بلدان البلطيق بشكل بطيء ومتعثر وضمن مبادرات سياسية أو عسكرية ، وقد صاحب ذلك بداية الوعي لشعوب هويتها ومصيرها، وتشكل تنظيم للفرسان على غرار التنظيم الذي كان معروفاً في أوروبا (جنود أو حراس الهيكل)، فكان المعتقد المسيحي يفرض في بلدان البلطيق عن طريق الاحتلال وكانت المقاومة متمثلة بالثورات التي قام بها الفلاحين، مثل (ثورة جزيرة اوزل) التي تم

(٧) د. عماد هادي عبد علي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٩) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

سحقها بعد تدخل ملك الدنمارك ، وأصبح حراس الهيكمل أسياد القسم الأكبر من ليتوانيا وإستونيا، وتوسعوا نحو الشرق إلى عام ١٢٤٢ نتيجة مقاومة (السكندر نفسكي) على ضفاف (بحيرة بيبوس)، كما قاوم سكان ليتوانيا (التيون الألمان) الذي كان يقودهم رجل عسكري ودبلوماسي يدعى (ميندوغاس)^(١٠). وفي القرن الرابع عشر حكم خلفاؤه الكاثوليكين أراضي امتدت ما بين البلطيق والبحر الأسود وهي ليتوانيا الكبرى، وفي القرن السادس عشر وبعد ازدياد الهيمنة البولونية الكاثوليكية أخذ الكثير من النبلاء الليتوانيين- علماً ان أكثر الليتوانيين هم من الأرثوذكس- يوجهون أنظارهم نحو القيصر الروسي وان يقعوا تحت سيطرته، فوقعوا- أي الليتوانين- مع البولونيين معاهدة اتحاد واندماج بين بلديهم في مدينة لوبلن عام ١٥٦٩^(١١). وفرض ملوك السويد منذ (غوستاف أدولف) سيطرتهم على إستونيا وليفونيا، وفي عام ١٦٦٢ سعى الملك السويدي (شارل الحادي عشر) بفرض سيطرته وحكمه بتوقيع (معاهدة أوليغا للسلام) وقام بتأسيس (جامعة تارتو الإصلاحية)، إلا ان بارونات البلطيق الألمان تعاونوا مع القيصر الروسي (بطرس الأكبر) وأستقبله النبلاء كمحرر لبلادهم في عام ١٧٠٩. وتبع ذلك الوضع توقيع (معاهدة نيسناد) عام ١٧٩١ وعملية تقسيم بولندا ليتحدد مصير بلاد البلطيق لمدة قرنين من الزمان ، فقد تمكن البارونات من تثبيت امتيازاتهم وظهرت نواة القومية ، وجاء إلغاء العبودية في بداية القرن التاسع عشر ولم يؤد ذلك إلى تحسين أحوال الفلاحين في البلطيق، وكان القمع الذي مارسه القيصر الروسي (نيقولا الثاني) في ثورة الفلاحين عام ١٨٣٠ قد سَرَّعَ

(١٠) مسعود الخوند ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٢ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

من النهضة القومية في منطقة البلطيق ، فكانت نتائج ذلك زيادة المد القومي في ليتوانيا^(١٢).

وفي إستونيا ولاتفيا اصطدمت النزعة السلافية للقيصر (الكسندر الثالث) والقيصر (نيقولا الثاني) بترعة البارونات الجرمانية ، ومع بداية القرن العشرين أخذت عمليات روسنة البلدين إستونيا ولاتفيا شكل مكافحة ما هو غير أرثوذكسي ، فهيمنت الرأسمالية الروسية وغت الصناعية والتجارة ونما معها الوعي القومي^(١٣).

وفي القرن العشرين وتحديداً في عام ١٩١٥ قام الألمان بغزو بلدان البلطيق ، وفي عام ١٩١٧ تم توقيع معاهدة (بريست ليتوفسك) لتثبت هذا الاحتلال الذي جابهته عمليات المقاومة ، وبعد الحرب العالمية الاولى اتفقت ألمانيا وجمهوريات البلطيق على الدفاع المشترك ضد البلاشفة ، وفي عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ اعترف الاتحاد السوفيتي وألمانيا والحلفاء باستقلال هذه الجمهوريات التي انضمت إلى عصبة الأمم^(١٤).

وأستمر الأمور الاجتماعية والاقتصادية صعبة والمبادرة بطيئة في الدول البلطيقية الثلاث ، وفي نهاية عام ١٩٣٨ ازداد الوضع سوءاً ، وقعت دول البلطيق ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا في عام ١٩٣٩ ، إلا ان توقيع الميثاق الألماني - السوفيتي في آب ١٩٣٩ جعل هذه الدول خاضعة للنفوذ السوفيتي^(١٥)، وظلت دول البلطيق في عام ١٩٤٠ تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي إذ كان قد أراد من دول البلطيق توقيع معاهدات تسمح ببقائه العسكري في هذه الدول . وفي حزيران ١٩٤١ اجتاحت ألمانيا الاتحاد

(١٢) د. عماد هادي عبد علي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٨ .

(١٣) مسعود الخوند ، ص ٢٦٣ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ .

السوفيتي ، وأيدت دول البلطيق ألمانيا وذلك نتيجة الحكم السوفيتي الصارم، وعندما اقترب الألمان من (ريغا وتالين) تشكلت حكومات وطنية أملاً في الحصول على الاستقلال، إلا ان ذلك لم يحدث وذلك لنوايا ألمانيا في ضم دول البلطيق إلى ألمانيا (الرايخ الثالث)، وقد حاولت دول البلطيق في تلك المدة الاستقلال ، فحصل في ليتوانيا انقلاب على السوفيت وشكلوا حكومة، وفي لاتفيا تم تشكيل المجلس المركزي اللاتيفي في عام ١٩٤٣ تحت الأرض. وفي إستونيا طالب (يوري الونس) إعادة الاستقلال وأصبح الشخصية الأبرز في الجمعية الوطنية السرية، ثم أصبح رئيساً لإستونيا المستقلة بالوكالة عام ١٩٤٤، ثم وصلت في آذار ١٩٤٤ القوات السوفيتية إلى الحدود الإستونية ، وهاجم السوفيت الألمان في دول البلطيق في ١٤ أيلول ١٩٤٤ وقد تمكن السوفيت من محاصرة الألمان واللاتيفيين وجعلهم يستسلمون ولكن بشروط في ١٠ أيار ١٩٤٥، وقد استمر الاتحاد السوفيتي بالسيطرة على دول البلطيق وإخضاعهم للحكم الشيوعي وقاموا باستثمارات في الزراعة والصناعة ومصادر الطاقة في دول البلطيق التي استقلت بعد تفكك السوفيت عام ١٩٩١^(١٦)، وتحول النظام الدولي إلى نظام الأحادية القطبية - بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بتفكك المنظومة الاشتراكية وانهار الشيوعية.

ثالثاً: دول البلطيق بعد الاستقلال

مع تفكك الاتحاد السوفيتي بدأ التغيير يبدو واضحاً على الأوضاع التي طرأت على النظام الدولي والمنظومة الاشتراكية بشكل عام ودول البلطيق بشكل خاص إذ حصلت هذه الدول على الاستقلال، ولم تعد روسيا تحتفظ سوى بمنفذ ضيق على البحر (سان بطرسبورغ) وجوارها الواقع في عمق خليج فنلندا إلى جانب منطقة كالينينغراد المحصورة بين بولندا وليتوانيا ، كذلك

(١٦) احتلال دول البلطيق، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الموقع الالكتروني :

ظهرت ألمانيا الموحدة التي أضحت تحتل القسم الأكبر من شواطئ البلطيق الجنوبية ، وفي تلك الأثناء والظروف حاولت دول البلطيق تقوية استقلالها ، إذ حصل فراغ أمني أقلق تلك الدول وجعلها تسعى لإقامة نظام ثابت ومستقر تشارك فيه موسكو ، ويتخطى الإطار الإقليمي تشارك فيه الدولة العظمى ومنظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي واتحاد أوروبا الغربية^(١٧).

بقيت دول البلطيق حتى بعد التفكك السوفيتي تشعر بأنها مهددة وبقيت حذرة من الوضع الجديد ، فحتى مع انسحاب الجيش الروسي بالكامل من ليتوانيا إلا أنها اضطرت إلى ضمان المرور الحر للقوافل العسكرية والمدنية باتجاه منطقة أو جيب كالينينغراد ، أما إستونيا ولاتفيا فقد كان عليهما حل مشاكل خطيرة عالقة في علاقاتهما مع الكرملين كوضع الأقليات الروسية الكبرى في البلدين ، وقد اضطرتا إلى تأخير انسحاب الجيش الروسي منها لاسيما في ظل رغبة روسيا الاتحادية في الاحتفاظ ببعض النقاط الاستراتيجية المهمة وتحديداً جيب كالينينغراد الذي زادت أهميته الاستراتيجية بعد انسحاب القوات الروسية من دول البلطيق وتخفيف تواجدهم البحري و زوال الأسطول الألماني الشرقي إذ تبقى تنظر روسيا الاتحادية له - أي جيب كالينينغراد- كقاعدة مهمة تعوضها عن الخسائر في المنطقة الذي كانت بولونيا تخشى منه علماً أن آخر انسحاب روسي في بولونيا كان في أيلول ١٩٩٣ - ، وفي آذار ١٩٩٢ اجتمعت دول بحر البلطيق لإنشاء المجلس البلطقي الذي أوكلت له مهام ومسؤوليات منها إقامة مؤسسات ديمقراطية في الدول التي كانت شيوعية ، إلى جانب مواضع أخرى مثل محاربة التلوث في بحر البلطيق الذي أصبح مشبعاً بالمواد السامة والملوثة ، وكذلك مشكلة المفاعلات النووية الموروثة من مرحلة الحكم السوفيتي التي تصل إلى أراضي روسيا وأوروبا

(١٧) مسعود الخوند ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

الشرقية وتشكل خطراً على البيئة وهي غير آمنة حسب رأي الوكالة الدولية للطاقة النووية ، وكل تلك المشاكل كانت دول البلطيق تعمل على إيجاد الحلول لها في مسعى منها نحو تأمين منطقة البلطيق^(١٨).

وعلى الرغم من التغيير الذي صاحب استقلال دول البلطيق الثلاثة من تحول نحو الديمقراطية على الصعيد السياسي ، واعتماد اقتصاد السوق الحر على الصعيد الاقتصادي ، إلا ان النظام السياسي في كل منها ظل يتصف بالضعف في المؤسسات والتشتت والاستغلال التجاري ، مما أدى إلى بقاء وضع سياسات هذه الدول ضعيفة وهشة وقابلة للسير وراء السياسة الروسية لاسيما وهناك ما ساعد على ذلك ، وهو وجود الأقليات الروسية المهمة في لاتفيا وإستونيا ودورها في تعزيز التواجد والتمكين الروسي بواسطة اللغة والقيم والمصالح المشتركة وتأثير الأقليات الروسية والمصالح التجارية واعتماد دول البلطيق على الصادرات وموارد الطاقة الروسية^(١٩)، إذن وفي ظل المرحلة الجديدة لدول البلطيق وهي مرحلة ما بعد الاستقلال والرغبة في إثبات دورها والحفاظ على استقلالها، كانت تتجاذبها كل من روسيا الاتحادية على الطرف الشرقي والدول الغربية الأطلسية متمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي على الطرف الغربي تسعى إلى مد نفوذها وتحقيق مصالحها في دول البلطيق .

رابعاً: الرؤية الروسية لدول البلطيق

تشكل دول البلطيق مجال حماية استراتيجي للأراضي الروسية إلى جانب تشاركها مع هذه الدول في تاريخ واحد وارتباطها معهم بعلاقات ثقافية واقتصادية^(٢٠)، وكل ذلك يأتي نتيجة للسيطرة السوفيتية على هذه الدول في مرحلة الحرب الباردة ، إذن

(١٨) مسعود الخوند ، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(١٩) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٢٠) المصدر نفسه .

تنظر روسيا الاتحادية إلى الجمهوريات التي استقلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ومنها دول البلطيق في الجوار المباشر لها بعديها حاجز بري بين أراضيها وأراضي دول أوروبا الغربية^(٢١).

لقد عملت روسيا الاتحادية على فرض نفوذها في دول البلطيق بشكل مميز مما أقلق الغرب - الذي كان يسعى أيضاً إلى فرض نفوذه فيها- ، فقد بذلت روسيا الاتحادية جهوداً كبيرة لتحقيق أهدافها في الوقت الذي تعلن فيه أنها تسعى للحفاظ على منطقة البلطيق كمنطقة ذات أهمية متميزة^(٢٢).

ولما كانت الدول الغربية قد أسرع بالتوسع نحو الشرق بضم دول البلطيق إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي زعم الرئيس السوفيتي (ميخائيل غورباتشوف) بأن : القادة الغربيين ، وخلال تحقيق الوحدة الألمانية عام ١٩٩٠ قد وعدوه شفهيّاً بأن حلف شمال الأطلسي لن يتوسع إلى أوروبا الشرقية ، وذلك ما ينكره ويرفضه الغرب بالقول ان هذه القضية جاءت خلال مفاوضات الرئيس السوفيتي (ميخائيل غورباتشوف) مع وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جيمس بيكر) ، ثم جاء الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) ليؤكد الموضوع نفسه بالقول : (ان غورباتشوف حصل على تأكيد شفهي من الولايات المتحدة بعدم توسع الناتو) إلا انه لم يصّر على إعلان كتابي بذلك بمعنى ان التوسع الأطلسي حصل بالفعل وكان يعني إيقاف لروسيا الاتحادية عن التقرب إلى الدول الغربية ، وقد أدركت روسيا الاتحادية بأن التعامل الغربي والأوروبي معها كشريك غير مكافئ أو ثانوي غير موثوق^(٢٣)، وعلى الرغم من ذلك فإن روسيا الاتحادية استمرت بمحاولة الهيمنة على تلك الدول لإبقائها في دائرة سيطرتها السياسية والاقتصادية ، واعتمدت ولا زالت في ذلك على آليات العقوبات والإغراء المالي والدبلوماسية العامة ، ناهيك عن الضغط الروسي في قطاع الطاقة وذلك لاعتماد دول

(٢١) روسيا والغرب ، تاريخ من الصراعات ، العربية ، على الموقع الالكتروني:

html/ ar/politics/ 14/7/2018. , (p.d.f) .

(٢٢) ايهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٢٣) روسيا والغرب تاريخ من الصراعات ، مصدر سبق ذكره .

البلطيق على (٩٠%) من النفط الروسي وما يقارب من (١٠٠%) من الغاز ، حتى ان الضغط الروسي يصل إلى حد قطع صادرات النفط عن دول البلطيق الذي قامت به عشرات المرات بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ عن رابطة الدول المستقلة ودول أوروبا الوسطى والشرقية وتحديدًا لدول البلطيق عندما قامت بقطع صادرات النفط عم مشغل الموانئ في لاتفيا (فتسيلس نافطا) منذ عام ٢٠٠٣ وعن مصفاة النفط الليتوانية (محيكيو نافطا) منذ عام ٢٠٠٦ ، كل ذلك لتحقيق أهداف سياستها الخارجية ، الا انها - أي روسيا الاتحادية- لم تنجح كثيراً في استعمال النفط كوسيلة ضغط ، وكان نجاحها بشكل أكبر على قطاع الغاز وذلك لاعتماد دول البلطيق على الغاز الروسي بشكل أكبر . كذلك أمتد التأثير الروسي في دول البلطيق في تعاملها مع المستثمرين الأجانب بمنعها الشركات الأجنبية من الاشتراك في إنشاء مفاعل نووي في ليتوانيا بقيمة تتراوح بين (٤ و ٦) مليار دولار ، ولا يقف التأثير أو النفوذ الروسي في دول البلطيق على القوة الصلبة بل تعتمد على القوة الناعمة كذلك من خلال جذبها لتلك الدول بالوسائل الثقافية والقيم السياسية والسياسة الخارجية^(٢٤)، فعلى سبيل المثال تسعى روسيا الاتحادية ومنذ مدة طويلة إلى إشراك الناطقين بالروسية حتى الأقليات العرقية الأخرى في الجمهوريات السوفيتية في معسكرات الشباب والبطولات العسكرية^(٢٥)، فمعرفة الأقليات أو السكان المحليين للغة والثقافة الروسية في لاتفيا وإستونيا يساعد بل يدفع روسيا الاتحادية إلى الحفاظ على هذه الشبكات من العلاقات القائمة على الإرث السوفيتي ، وهذا يدل على ان روسيا الاتحادية تحاول الحفاظ على امتيازاتها السابقة أو المتبقية في هذه الدول على الرغم من انضمامها - أي دول البلطيق- إلى حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي^(٢٦)، وذلك لأن التخوف الروسي من ذلك يتمثل في ما

(٢٤) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٢٥) ماهر النبواني ، مر سوفالكي هدف بوتين المقبل ؟ ، جريدة الحياة ، ١٧ فبراير ٢٠١٧ ، على الموقع

الالكتروني : <http://www.alhayat.com> .

(٢٦) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

سينتج عنه من خسائر لروسيا الاتحادية بتوسع حلف شمال الأطلسي شرقاً ليس فقط في إطار مخاطر احتمالات المواجهة العسكرية بل في ملء الفراغ الذي ترى فيه - أي روسيا الاتحادية - فرصة لها لاستعادة نفوذها في أوروبا الشرقية من خلال التواجد الجيوسياسي في المنطقة ، إلى جانب العداء التاريخي بين دول البلطيق وروسيا الاتحادية الناتج عن مرحلة الحكم السوفيتي - على الرغم من وجود علاقات فيما بينهما بعد الاستقلال- وما شهدته تلك الدول من اضطرابات أمنية وسياسية بعد استقلالها ، ناهيك عن وجود الأقليات الروسية التي تتراوح نسبتها بين (١٠-٣٥%) من مجموع سكان دول البلطيق الثلاث الذين يطالبون بحقوق المواطنة من أجل التأثير في الخريطة السياسية الداخلية والضغط على الحكومات الداخلية التي تعمل على تقييد دور هذه الأقليات الروسية ، ولا يقف الخوف الروسي من تحول دول البلطيق إلى دول رأسمالية بانتمائها إلى حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي عند ذلك الحد بل انها تخشى من كون دول البلطيق تشكل منطقة عازلة بينها وبين إقليم كالينينغراد التابع للأراضي الروسية وسيمثل ذلك مشكلة للسيادة الروسية ، إذ يحتم دخول دول البلطيق إلى عضوية الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي على مواطني روسيا الاتحادية الحصول على تأشيرات دخول إلى تلك الدول العازلة للوصول إلى روسيا الاتحادية والعكس كذلك ، إلى جانب التخوف من الأهمية الاقتصادية لدول البلطيق ولاسيما مستقبلها التجاري ، فالموانئ التجارية لدول البلطيق تقوم بتجارة الترانزيت والنقل بشكل يفوق ثلاث مرات الموانئ الروسية على بحر البلطيق ، منها مثلاً منافسة تفوق مينائي ريغا وتالين على مينائي سانت بطرسبورغ و كالينينغراد الروسية^(٢٧).

(٢٧) عاطف معتمد، روسيا ودول البلطيق .. تصفية الحسابات القديمة ، ديسمبر ٢٠٠٢ ، على الموقع

الالكتروني: www.geo-house.net.

خامساً: الرؤية الأطلسية لدول البلطيق

من الطبيعي أن تنظر الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية إلى منطقة البلطيق كمنطقة مجال حيوي تكمل بها هيمنتها على مناطق العالم الاستراتيجية وقيادتها للنظام الدولي ، ولكن بعد تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال جمهورياته ومن ضمنها دول البلطيق الثلاث إستونيا ولاتفيا وليتوانيا، أعطت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها دول البلطيق الوقت الكافي والمناسب لتحقيق الأمن والاستقرار قبل إنشاء القواعد العسكرية في هذه الدول التي عاشت حتى بعد الاستقلال مشكلات أمنية خطيرة كادت أن تؤثر على استقلالها وبقيت هكذا حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين^(٢٨)، بعدها حصل توسع حلف شمال الأطلسي عام ١٩٩٩^(*)، باتجاه أوروبا الشرقية أربع مرات وكذلك اتسع نطاق العضوية في الاتحاد الأوروبي الذي ضم دول أوروبا الشرقية ومنها دول البلطيق^(**)، وكانت سياسته - أي الاتحاد الأوروبي - نحو روسيا الاتحادية تختلف عن سياسة اتجاه دول أوروبا الشرقية أو سياسة الحوار الأوروبية ، إذ يرى الغرب ان روسيا الاتحادية تريد الحصول على حقوق الحوار المشترك دون الالتزام بمعايير ومبادئ السلوك الخاصة بالاتحاد الأوروبي^(٢٩).

لقد كانت دول البلطيق مرحة وراغبة في الدخول في عضوية حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي وذلك للحصول على الحماية الأطلسية من النفوذ الروسي ، وكذلك كونها ترى ان انضمامها هذا سيدخلها المجتمع

(٢٨) عاطف معتمد ، مصدر سبق ذكره .

(*) انضمت دول البلطيق إلى حلف شمال الأطلسي في ٢٩ آذار ٢٠٠٤ ، على الموقع الإلكتروني :

<http://ar.m.wikipedia.org>

(**) انضمت دول البلطيق إلى الاتحاد الأوروبي في ١ أيار ٢٠٠٤ ، على الموقع الإلكتروني:

<http://ar.m.wikipedia.org>.

(٢٩) روسيا والغرب تاريخ من الصراعات ، مصدر سبق ذكره .

الغربي لاسيما بعد تحقيقها لمعايير المجتمع الرأسمالي للاستفادة من التطور الاقتصادي والظهور على العالم السياسية بشكل أفضل وأكثر قوة وتطور وحماية، فهي تخشى من استعادة روسيا لجأها واستعادة النفوذ الذي كانت تحظى في مرحلة الحكم السوفيتي^(٣٠).

ومن جانبهما يرى كل من حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي ان توسعهما نحو الشرق وضم دول البلطيق يأتي في سياق تعزيز مساحة نفوذهما الاستراتيجي والسياسي والاقتصادي لضم هذه الدول وصهرها في العالم الرأسمالي وإبعادها عن النفوذ السياسي ، ولكن في الوقت نفسه عليهما توفير الحماية لتلك الدول من الخطر الروسي المحتمل والنفوذ الروسي الذي تلوح به روسيا الاتحادية بين حين وآخر ، فقد أدى ضم روسيا الاتحادية لشبه جزيرة القرم بشكل غير شرعي في آذار ٢٠١٤ القيام بعمليات عسكرية في أوكرانيا إلى تنبيه حلف شمال الأطلسي إلى ضرورة إعادة تقييم ترتيبات الدفاع الجماعي لما يعرف بـ(الجناح الشرقي) للناتو والذي يضم ثمان دول في شمال أوروبا وبحر البلطيق، وعليه أقدم حلف شمال الأطلسي على زيادة مستوى الدفاع والردع ، وتنسيق العلاقات الأمنية في دول المنطقة ، وقد رحبت دول البلطيق بإجراءات الردع التي تم الاتفاق عليها في قمة حلف شمال الأطلسي في (ويلز) عام ٢٠١٤ لتشكيل خطة وضع الاستعداد، والميزة الأساسية لها هي قوة المهام المشتركة ذات الجاهزية العالية وقوامها (٥٠٠٠) فرد التي تم إنشاؤها ضمن قوات الاستجابة التابعة لحلف شمال الأطلسي ، فدول البلطيق ستؤمن نفسها بضمان وجود عسكري كبير ودائم لحلف شمال الأطلسي في أراضيها ، ومع ذلك ترى دول الحلف الأساسية أو الكبرى ان الحل الأفضل للأزمة الأمنية الأكبر التي تشهدها أوروبا الشرقية هو ان يتم عن طريق الوسائل الدبلوماسية، مع ان هذا يضعها أمام معادلة توازنية صعبة فهي من ناحية تسعى إلى الحفاظ

(٣٠) عاطف معتمد ، مصدر سبق ذكره .

على ما تم الاتفاق عليه بين حلف شمال الأطلسي وروسيا الاتحادية في عام ١٩٩٧ ، وتجنب زيادة التوتر العسكري على طول الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي ، ومن ناحية ثانية تسعى إلى تطمين أعضاء حلف شمال الأطلسي الشرقيين بأن أي عدوان محتمل سيتم رده بالفعل^(٣١).

سادساً : التنافس الروسي - الأطلسي في منطقة البلطيق :-

تبقى النزاعات الدولية والاستراتيجيات التوسعية والرغبة في السيطرة والقيادة هي الحركات لسياسات الدول و وضع العالم أمام حالة أمنية هشة مرتبطة بمصالح ونوايا وأهداف كل واحدة من القوى الكبرى ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية ، ففي إطار رؤية كل من حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية من جهة وروسيا الاتحادية من جهة أخرى للأهمية الجيوسياسية التي يمثلها لها بحر البلطيق يبقى التنافس قائماً ومرتباً بمصالح كل منهما في المنطقة والسعي نحو السيطرة والتوسع وتحويل منطقة بحر البلطيق إلى منطقة مصالح متنافسة ومصادر تهديد متبادلة ونزعات توسعية جيوسياسية ، الأمر الذي يفرض على استعراض كل طرف لأوجه قوته وإجراء مناورات عسكرية وتقديم تفاهات سياسية مع الحلفاء للاتفاق على سياسات الدفاع المشتركة^(٣٢)، فقد أجرى حلف شمال الأطلسي في تشرين الثاني ٢٠١٣ مناورات تبدو متواضعة إذ بلغ تعداد قوتها (٦٠٠٠) جندي باسم (ستيد فاست جاز)^(٣٣) ، وفي ٢٠ حزيران ٢٠١٤ اختتمت الولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي مناورة (Baltops 2014) فأسهمت في وضع سلسلة من التدابير من قبل شركاء الحلف لدعم الحلفاء في

(٣١) أوين مايكل ماكنمارا، تأمين دول شمال الأوروبي ومنطقة البلطيق ، مجلة الناتو ، ٢٠١٦ ،

Review magazine NATO Review : على الموقع الإلكتروني : <https://www.nato.int>.

(٣٢) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٣٣) أوين مايكل ماكنمارا ، مصدر سبق ذكره .

أوروبا الشرقية ودول البلطيق وإشعارهم بالطمأنينة بالتزامن مع الأزمة الأوكرانية، كما جرت المناورات العسكرية (Saber Strike 2014) تحت قيادة القوات المسلحة الأمريكية في أوروبا في دول البلطيق من ٩ إلى ٢٠ حزيران ٢٠١٤ وشارك فيها جنود من كندا والدنمارك وإستونيا وفنلندا وليتوانيا والنرويج وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية^(٣٤).

في مقابل ذلك من الطبيعي أن لا تقف روسيا الاتحادية بدون حراك سياسي وعسكري ، فقد أجرت قوات أسطول بحر البلطيق وقوات الإنزال الجوي والقوة الجوية الروسية المناورات المشتركة في منطقة كالينينغراد المطلّة على بحر البلطيق في غرب روسيا وذلك في ١٨ حزيران ٢٠١٤ بقيادة قائد قوات المنطقة العسكرية الغربية وشاركت فيها (٣٠) سفينة و(٢٠) طائرة ومروحية من طيران الأسطول والقوات الجوية الروسية وأكثر من (٧٠) آلية من معدات الأسطول وقوات الإنزال الجوي ، كما استعملت فيها روسيا الاتحادية روبوتات مقاتلة من نوع (بلانفورما-ام) وهي عبارة عن آلة مجتررة تحمل قذائف (آر بي جي) ومدفع رشاش كلاشينكوف لمهاجمة تشكيلات العصابات المسلحة ، وضرب الأهداف الثابتة والمتحركة ، واستطلاع ميدان المعركة ، وشق الطريق للقوات الصديقة في حقول الألغام ، كما استعملت طائرة (غروشا) التي تحدد الأهداف المطلوب تدميرها وتوجيه مدفعيتها نحوها والتأكد من تدميرها^(٣٥).

وقابل ذلك إجراء مناورات عسكرية أخرى في أيار ٢٠١٥ وهي مناورات (سيل / ستيد فاست جافيلين) في إستونيا بمشاركة أكثر من (٧٠٠٠) فرد من قوات الاحتياط ، وكان إجمالي القوات المشاركة

(٣٤) إيهاب شوقي ، مصدر سبق ذكره .

(٣٥) المصدر نفسه .

(١٣٠٠٠) مع (٦٠٠) جندي من حلف شمال الأطلسي^(٣٦)، أي ان الطرفين يستعرضان قوتهما في المنطقة من خلال إجراء المناورات لإثبات وتعزيز مكانتهما ونفوذهما في المنطقة.

على الرغم من ذلك فإن روسيا الاتحادية تنفي أن يكون لها طموحات توسعية في أراضي دول البلطيق وان التحركات الروسية ليست ذات طابع هجومي بقدر ما هي بمثابة رد فعل دفاعي على تحركات حلف شمال الأطلسي على الحدود الغربية لروسيا الاتحادية التي تتصاعد من مخططات توسيع حلف شمال الأطلسي مروراً بالمناورات العسكرية وتصعيد الخطاب السياسي، إلا ان تلك التحركات الروسية لا تطمئن ولا تقنع الأطلسيين في ان روسيا الاتحادية لا تتحرك اتجاه دول البلطيق لاسيما مع تحركها التوسعي في ضم شبه جزيرة القرم وتطورات الأزمة الأوكرانية، إذ ترى فيها دول حلف شمال الأطلسي أي ليس فقط الولايات المتحدة الأمريكية بل بريطانيا كذلك إلى جانب دول البلطيق الثلاث نفسها من خلال طرح الجنرال البريطاني ريتشارد شيرف الذي تولى منصب القائد العام للقوات الحليفة في أوروبا أثناء ضم شبه جزيرة القرم، تصور أن تقوم روسيا بضم دول البلطيق على غرار ما فعلت في أوكرانيا ولاسيما تصور تكرار تجربة شرق أوكرانيا في لاتفيا - ويقي مجرد تصور لاختلاف الظروف والأوضاع بين المنطقتين- مما يثير التوتر باستمرار في العلاقات الروسية - الغربية^(٣٧).

كذلك تخشى دول حلف شمال الأطلسي من ثغرة سوفالكي أو سواليكي وهو ممر يتراوح عرضه بين (٦٠) إلى (١٠٠) كيلومتر ويقع بالقرب من إقليم كالينينغراد الذي يتركز فيه الوجود العسكري الروسي وحيث تقع روسيا

(٣٦) أوين مايكل ماكسمارا، مصدر سبق ذكره.

(٣٧) وسام متي، ((الاطلسي)) يستنسخ ((ثغرة فولدا)) في البلطيق، جريدة الاخبار ٧ / تموز ٢٠١٧، على

الموقع الإلكتروني: <https://al-akhbar.com/International>.

البيضاء (بيلاروسيا) وهي حليفة روسيا الاتحادية والعدو الأساس للغرب^(٣٨)، ويضم ممر آو مثلث سوفالكي ثلاث مدن رئيسة وهي بونسك وسايبي وسوفالكي ويقع على الحدود البولندية - الليتوانية ، ويحده إقليم كالينغراد من الشمال الغربي وروسيا البيضاء من الجنوب الشرقي ، ويضم جيب أو إقليم كالينغراد حوالي (٥٦) سفينة حربية تابعة لأسطول بحر البلطيق الروسي في (ميناء بالتيسك) ، إلى جانب غواصات وقوات برية ولواء بحري وقاعدتين جويتين للجيش الروسي^(٣٩)، وعليه يرى حلف شمال الأطلسي ان سيطرة روسيا الاتحادية على ذلك الممر سيشكل خطراً على الحلف لأنه إذا ما حصل سيقطع دول البلطيق الثلاث الأعضاء في الحلف^(٤٠)، فقد أشار تقرير نشره المجلس الأطلسي على الموقع الإلكتروني بأن الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) سيبدأ بالتركيز على منطقة بولندا وليتوانيا وهي منطقة ممر سوفالكي ، الأمر الذي يجعل حدود أوروبا أمام ذلك الخطر الذي جعل وزارة الدفاع الأمريكية تضاعف من موازنتها للدفاع عن أوروبا عام ٢٠١٧ لأربع مرات ، إذ يرى قائد القوات الأمريكية في أوروبا (الجنرال بن هودجز) ان هذا الممر بين الدولتين العضوين في حلف شمال الأطلسي ربما يكون هدفاً للعدوان العسكري الروسي في المستقبل ، وما يزيد الخطر هو وجود منطقة كالينغراد الروسية وروسيا البيضاء (بيلاروسيا) فيسبب ذلك إشكالية في الجغرافية والبيئة العسكرية في تلك المنطقة ، ولاسيما ان روسيا الاتحادية ممكن أن تستغل التزعة الانفصالية المحلية في سوفالكي لتضمها إلى منطقة كالينغراد على اعتبار ان سياسة روسيا الاتحادية الخارجية وتحركاتها العسكرية دائماً ما يثير وتستغل التوترات العرقية المحلية في هذه المناطق ، ففي حالة التصعيد والتحول إلى

(٣٨) المصدر السابق .

(٣٩) ماهر النبواني ، مصدر سبق ذكره .

(٤٠) وسام مكي ، مصدر سبق ذكره .

استعمال القوة العسكرية ، يشير تقرير المجلس الأطلسي انه يمكن للصواريخ الروسية المنتشرة في كالينينغراد عزل الجزء الشرقي من بولندا وجزء كبير من دول البلطيق عن أي دعم بحري أو بري من حلف شمال الأطلسي أو حلفاؤه^(٤١).

ومع هذا الوضع التنافسي الحاد ولضمان حلف شمال الأطلسي سيطرته وتأهبه في منطقة البلطيق ، يرى انه من الضروري زيادة عدد المناورات العسكرية التي يقوم بها في منطقة البلطيق التي تضم قوات برية وبحرية وجوية من الحلفاء بشكل كامل ، مع قيام روسيا الاتحادية بنفس التحركات فقد أجرت مناورات عسكرية مفاجئة بقوات تقدر أعدادها بـ (٣٠٠٠٠) إلى (٨٠٠٠٠) جندي بالقرب من حدود البلطيق منذ بداية الأزمة الأوكرانية^(٤٢)، إذ يعمل حلف شمال الأطلسي ومن خلال المناورات العسكرية الكبرى على إظهار الالتزام الجاد للحلف بردع أحد الجوانب الأساسية للتطبيقات الروسية للحرب المختلطة أو الحرب الهجينة وبالتحديد استخدام تواجد قوات تقليدية كبيرة بالقرب من حدود الدولة المستهدفة كنوع من الإكراه^(٤٣)، إذ تستعمل روسيا الاتحادية الحرب المختلطة أو الهجينة التي هي عبارة عن نشاطات خفية أو قابلة للإنكار تدعمها قوات تقليدية أو نووية بغرض التأثير في السياسة الداخلية للدول المستهدفة ، وهنا تشكل هذه الحرب مصدر قلق على كل من إستونيا ولاتفيا اللتان تضمان أقليات روسية مهمة ، ويمكن توضيح هذا التهديد المحتمل أو العمل العدواني الروسي المحتمل بثلاث فئات وهي : التخريب اللاعنفي كهجمات الكترونية وغيرها للتحكم بقرارات جيرانها ، والتحركات العنيفة الخفية بقيامها بعمليات بقواتها الخاصة مخفية الهوية

(٤١) ماهر النبواني ، مصدر سبق ذكره .

(٤٢) اوين مايكل ماكنمارا ، مصدر سبق ذكره .

(٤٣) المصدر نفسه .

، والحرب التقليدية المدعومة بالتخريب بقيامها بهجوم بالقوات الروسية البرية والجوية والبحرية تبرره وتضفي عليه الشرعية نشاطات خفية أو نشاطات يتم إنكارها تركز على الناطقين بالروسية ، وهدفه السعي للسيطرة على الأراضي أو استبدال حكومات دول البلطيق أو تحويل التوازن العسكري من خلال الصراع الداخلي المستمر^(٤٤)، إلا ان نقطة الضعف أمام هذه الحرب الهجينة أو المختلطة في منطقة البلطيق تكمن في القوات التقليدية الروسية التي قد تساند أو ترافق العدوان الروسي اللاعنفي أو الخفي ، وهذا سيتيح للولايات المتحدة الأمريكية وحلف شمال الأطلسي تقوية دفاعها وردعها على جميع مستويات الصراع التي تتراوح بين الدعاية والحرب الالكترونية إلى التحرك الخفي وإلى الحرب التقليدية بتقليل مواطن الضعف في منطقة البلطيق ، وتقليل التصورات الروسية بأن روسيا الاتحادية تستطيع استغلال مواطن الضعف لدول البلطيق وبذلك ينخفض احتمال التصعيد والصراع ، كذلك يستطيع التحالف الأطلسي تحسين الاستجابة لذلك التحرك الروسي الخفي من خلال مراحل وهي : الكشف عن التحرك الخفي من خلال ثلاث مراحل وهي الكشف عن التحرك الروسي ونسبته أو نسبه إلى روسيا الاتحادية ، وتعزيز قدره وصياغة استجابة فاعلة ومناسبة من قبل الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي ، وتحسين قدرة دول البلطيق على الاستجابة ومكافحة التحرك الروسي الخفي ، ويتم ذلك من خلال تنفيذ قوات العمليات الخاصة الأمريكية تدريبات اشتباك واسعة مع نظيراتها البلطيقية وتنفيذ مهمات موجهة للتمكن من مقاومة التحرك الروسي^(٤٥). وفي إطار التصدي للحرب الهجينة تسعى دول البلطيق لزيادة اندماجها في الدول الغربية بإشراكها في شؤونها ولاسيما تلك التي تشكل

(٤٤) اندرو رادن ، الحرب الهجينة في منطقة البلطيق التهديدات والاستجابات المحتملة ، مؤسسة راند ، سانتا

مونیکا ، كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ٢٠١٧ ، (p.d.f) .

(٤٥) المصدر نفسه .

تهديداً لها من روسيا الاتحادية ، إذ زار وزراء خارجية دول البلطيق الثلاث الولايات المتحدة الأمريكية في آذار ٢٠١٨ لحث وزير الخارجية الأمريكي السابق (ريكس تيلرسون) على زيادة التواجد الأمريكي في منطقتهم ودعوا الغرب لعدم التقليل من مستوى ذلك الخطر عليهم وعلى الدول الغربية ، كما حثوا الولايات المتحدة الأمريكية على مواجهة التهديد الذي يستهدف المؤسسات الغربية الذي يستدعي وجود أكثر للقوات الغربية في دول البلطيق التي زادت من نفقاتها العسكرية الدفاعية لتصل إلى (٢%) من ناتجها المحلي الإجمالي^(٤٦).

ومع ذلك التأهب والاستعداد الدفاعي من قبل حلف شمال الأطلسي ودول البلطيق ، تواصل روسيا الاتحادية سياستها في منطقة البلطيق ، فقد أجرت مناورات صاروخية بذخيرة حية في بحر البلطيق يوم ٤ نيسان ٢٠١٨ مما أثار قلق لاتفيا التي أغلقت نتيجة لذلك مجاها الجوي التجاري فوق بحر البلطيق جزئياً ، وتعلن روسيا الاتحادية ان أسطولها بجهاز لمناورات دورية في بحر البلطيق لتشمل تدريبات بالذخيرة الحية على إصابة أهداف برية وبحرية ، وبالطبع ان هكذا تحركات تثير قلق الغرب بسبب حجمها ونطاقها ، ويرى حلف شمال الأطلسي ان تلك التحركات تشير إلى نقص في الشفافية^(٤٧)، يعزز من وجهة النظر الغربية بضرورة العمل على مواجهة التحركات الروسية الخفية أو العلنية وبدعم أطلسي لدول البلطيق وتنسيق عالٍ بين السياسات الغربية وتلك الدول - أي دول البلطيق - من الناحية الاستراتيجية من خطط دفاعية مشتركة ودعم عسكري غربي ومشاركة أعلى من دول البلطيق ، إلا

(٤٦) دول البلطيق تحت واشنطن على التصدي " للتهديد الهجين " الروسي ، روسيا اليوم مارس ٢٠١٨ ، على الموقع الإلكتروني : <https://arabic.rt.com>.

(٤٧) "استعراض قوة" روسي في البلطيق يثير قلق " الناتو " ، سكاي نيوز عربية - ابو ظبي ، الأربعاء ٤ أبريل ٢٠١٨ ، على الموقع الإلكتروني : skynewsarabia.com.

ان هذا لا يعني ثني روسيا الاتحادية عن سياستها وسعيها لتحقيق مصالحها في منطقة البلطيق التي تخدمها فيها الناحية الجغرافية ، وهذا يعني ان الطرفين تدفعه مميزات ونقاط ايجابية لتحقيق أهدافه وتكبحه عقبات ونقاط سلبية عن تحقيق تلك الأهداف ، مما يعني استمرار التنافس الروسي - الأطلسي في منطقة البلطيق التي تدفع ثمن ذلك وتبقى ساحة مفتوحة لذلك التنافس حتى وإن كانت قد حددت وجهة تعاملها وتوجهاتها باتجاه الغرب ، وذلك لاستمرار وجود مصالح كل طرف من الأطراف في تلك المنطقة وسعيه إلى إثبات وجوده وقوته على الطرف الآخر ، ولاسيما ان أجواء التصعيد والتوتر واستمرار التنافس بين الطرفين الروسي - الأطلسي في منطقة البلطيق تعززها طبيعة العلاقات الروسية - الغربية ليس فقط في منطقة البلطيق وإنما التنافس والاختلاف والصراع في الكثير من القضايا الدولية الأخرى .

الختاتمة :-

توصل البحث في موضوع منطقة البلطيق في الرؤية الاستراتيجية الروسية والغربية إلى ما يأتي :-

- مع تغير الظروف والأوضاع التي مرت وتمر على النظام السياسي الدولي بشكل عام ومنطقة البلطيق - موضوع البحث - بشكل خاص تبقى المنطقة محط اهتمام بل وتنافس وتنازع الأطراف الإقليمية والدولية حولها ، بمعنى ان التنافس الدولي والإقليمي القديم الجديد جعل منطقة البلطيق منطقة جذب استراتيجي تتراوح في السيطرة عليها في كل مرحلة من هي القوة الإقليمية أو الدولية الأقوى في هيكلية النظام السياسي الدولي .

- بعد انتهاء مرحلة حكم الاتحاد السوفيتي بتفككه وحصول جمهورياته على استقلالها اختارت دول البلطيق أن تندمج ضمن العالم الرأسمالي ، فسعت إلى التغيير لتتطابق سياسياً واقتصادياً ومؤسسياً مع معايير

النظام الرأسمالي السياسية والاقتصادية في التعددية وتطبيق اقتصاد السوق الحر ، فأضحت مؤهلة للانضمام إلى كل من حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي فأصبحت أعضاء في كل منهما .

- بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بدأت روسيا الاتحادية وبعد استعادتها لقوتها مرحلة جديدة في محاولة السيطرة على منطقة بحر البلطيق أو دول البلطيق وجعلها ضمن مجالها الحيوي واستعادة دورها المهيمن السابق فيها ولاسيما ان منطقة أو إقليم كالينغراد الذي يشكل جزءاً من أراضيها يساعدها في أن تكون قريبة من منطقة البلطيق .

- استطاع الغرب الأطلسي أن يستفاد من التاريخ السلي والصعب الذي عاشته دول البلطيق في ظل سيطرة الاتحاد السوفيتي عليها ، فشجع تلك الدول - أي دول البلطيق- وبطريقة استقطابية ومن خلال التلويح لها بالمكاسب التي يمكن أن تحصل عليها فجعلها تتجه للسير باتجاه النظام الرأسمالي .

- ستكون عضوية دول البلطيق في حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي المصد من التهديدات الروسية للغرب في تلك المنطقة .

- في إطار الهيمنة الغربية الأحادية القطبية على النظام السياسي الدولي امتد نفوذ حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية إلى منطقة البلطيق لتكون جزءاً من مجال نفوذها وأماكن سيطرتها العالمية الممتدة .

- تمثل منطقة البلطيق واحدة من مناطق الاتصال أو الارتباط أو الجسر الذي يربط الشرق بالغرب ، الأمر الذي يجعلها منطقة الامتداد أو المجال الحيوي في كل من الرؤية الشرقية والرؤية الغربية الأطلسية وحسب مبررات وأهداف ومصالح كل منهما .

- في إطار الرؤى الشرقية والغربية الأطلسية تبقى منطقة البلطيق تمثل أهمية استراتيجية وجيوبوليتيكية تبقى التنافس قائماً طالما ان روسيا الاتحادية تريد مد نفوذها إليها ، وفي الوقت الذي تتجه فيه دول البلطيق نحو الغرب ، فسيكون الغرب بمثابة المدافع عن هذه الدول لأنه في الوقت نفسه سيحقق مصالحه ومد نفوذه فيها وعَدّها جزءاً من العالم الغربي .
- تمثل منطقة البلطيق والتنافس الروسي - الأطلسي فيها واحدة من مناطق الاضطراب الدولي الذي يعكس بيئة الفوضى الدولية وتطبيق للنظرية الواقعية في النظام الدولي .

الملخص :-

تحتل منطقة البلطيق بأهمية استراتيجية وجيوبوليتيكية متميزة جعلتها بؤرة للأطماع والتنافس الإقليمي والدولي وبشكل مستمر ، وحتى عند تحقيق استقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، والبدء بمرحلة جديدة من تاريخها بقيت منطقة البلطيق في أولويات سياسات القوى الدولية الكبرى ، ولاسيما بين الشرق الروسي والغرب الأطلسي الأوروبي- الأمريكي ، بمحاولة كل طرف منها أن يمد تأثيره ونفوذه إلى هذه المنطقة ، فأصبحت منطقة البلطيق منطقة جذب استراتيجي ، وقد اختارت دول البلطيق بعد تفكك الاتحاد السوفيتي أن تندمج ضمن العالم الرأسمالي ، وامتد نفوذ حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية إليها لاسيما وإنما الجسر الذي يربط الشرق بالغرب ، ونظراً لاستمرار التنافس الشرقي والغربي حول المنطقة فإن ذلك يجعلها منطقة الامتداد أو المجال الحيوي في كل من الرؤية الشرقية والرؤية الغربية الأطلسية وحسب مبررات وأهداف ومصالح كل منهما .

Summary

The Baltic region in the Russian and Western strategic vision

The Baltic region has a strategic and geopolitical importance that has made it a focal point for regional and international ambitions and competition. Even when its independence is achieved after the breakup of the Soviet Union and the beginning of a new phase in its history, the Baltic region remained a priority for the policies of the major international powers, especially between the Russian East and the Atlantic west Euro- American. The Baltic region became a strategic magnet. After the break-up of the Soviet Union, the Baltic states chose to integrate into the capitalist world, and the influence of NATO and the United States expanded, especially it represents The East-West Bridge, and the continued Eastern and Western competition around the region, this makes it the area of extension or vital area in both the Eastern vision and the Western Atlantic vision and according to the justifications, goals and interests of each.